شرمولا

مجلة أدبية ثقافية فصلية العدد: ١٤ ربيع ٢٠٢٢

الإيزيدية و الإيزيديين

* الإيزيدية والإيزيديون.. تحديات الواقع والمستقبل
* مفاتيح لفهم أوسع حول الديانة الايزيدية
* دور التطرف الديني في الإبادة البشرية.. الإيزيديين نموذجاً
* حوار العدد مع «الياس سيدو» الرئيس المشترك لهيئة الثقافة بالجزيرة والإداري في البيت الإيزيدي

صورة الغلاف: صباح سمير جوزل

شعريّة الدعاء في قصيدة «إلهي» للشاعر التونسي محمد الصغير أولاد أحمد

«يا إلهي» من أهمّ قصائد الشاعر، وفيها يعبر عن مواقفه السياسية بشكل واضح، وتمثّل نموذجاً للشعر السياسي المرتبط بالصراع الحزبي السياسي بين الفرقاء المختلفين سياسياً وحزبياً..

فراس حج محمد*

ولد الشاعر التونسي محمد الصغير أولاد أحمد في ١٩٥٥/٤/٤، وتوفي في ٢٠١٦/٤/٥ رحمه الله. وفي ذكرى ولادته الخامسة والستين في ٢٠٢٠/٤/٤ بثت قناة الغد الفضائية حلقة عن الشاعر في برنامج «حبر على الرصيف»، وكان من بين المتحدثين زوجة الشاعر السيدة زهور بن عزيزة، وممّا قالته عنه: «كان يظل

*شاعر وناقد من فلسطين، من مواليد مدينة نابلس ١٩٧٣، حاصل على درجة الماجستير في الأدب الفلسطيني الحديث من جامعة النجاح الوطنية. عمل معلماً ومشرفاً تربوياً ومحاضراً في جامعة القدس المفتوحة، ومحرراً لغوياً في دوريات صادرة عن وزارة التربية والتعليم في فلسطين. ينشر في الدوريات الفلسطينية والعربية، وله أكثر من عشرون مؤلفاً في الشعر والنقد الأدبي والمقالة بينها: ديوان رسائل إلى شهرزاد/ ٢٠١٣، ملامح من السرد المعاصر– قراءات في القصة القصيرة جداً، شهرزاد ما زالت تروي– مقالات في المرأة والإبداع النسائي/ ٢٠١٧، ملامح من السرد المعاصر– قراءات في متنوع السرد/٢٠١٨، بلاغة الصنعة الشعرية/٢٠٢٠..الخ.

يقول أولاد أحمد احنا نحب البلاد يا رب البلاد تحبنا»، في إشارة منها لإحدى قصائد الشاعر.

كان الشاعر الصغير أولاد أحمد شاعراً إشكالياً، وقف بالمرصاد ضد النظام الحاكم في تونس زمن زين العابدين، وسجن، وشارك في ثورة الياسمين عام ٢٠١١، وأزعجه وصول حركة النهضة للحكم، فناصبها العداء وناصبته، فتم تكفيره.

زار الشاعر فلسطين وأحيا أمسية شعرية في متحف محمود درويش عام ٢٠١٤.

للشاعر عدة كتب، منها: «نشيد الأيام الستة»، «ليس لي مشكلة»، «حالات الطريق». وتابع الثورة التونسية بكتابه «القيادة الشعرية للثورة التونسية». ومن أشهر قصائده «نحب البلاد كما لا يحب البلاد أحد»، وقد غنتها المطربة التونسية صوفيا صادق، كما تم تلحين قصائد أخرى للشاعر.

لعلّ قصيدة «يا إلهي» من أهمّ قصائد الشاعر، وفيها يعبر عن مواقفه السياسية بشكل واضح، وتمثّل نموذجاً للشعر السياسي المرتبط بالصراع الحزبي السياسي بين الفرقاء المختلفين سياسياً وحزبياً، واتخذت شكل الدعاء في بنائها واعتمادها على التكرار وفي لغتها، وأساليبها التعبيرية.

يظهر في القصيدة اتكاء الشاعر على المعجم الديني والتناص من القرآن الكريم، فلا يكاد مقطع من مقاطعها يخلو من الإشارة الدينية والألفاظ الدينية، ويغلب عليها منطق الأنبياء في لجوئهم- وقد استفرغوا الوسع والطاقة- إلى الله، ليساعدهم ولينقذهم مما هم فيه من محن. والقصيدة في مزاجها الشعريّ العام تشبه كثيراً ما عرف بالكتب الدينية التراثية «دعاء النوازل» أي المصائب. إذ يصل الداعي إلى مرحل من الإحساس بالبلاء، ولا يجد أمامه إلا أن يفرغ إحساسه العام بهذا الغضب الدعاء بمثل هذه الطريقة من الإلحاح والشدة وانتقاء العبارات الملائمة لهذا الموقف، ما يسرّي عن الداعي، وكذلك فعل الشاعر في هذه القصيدة.

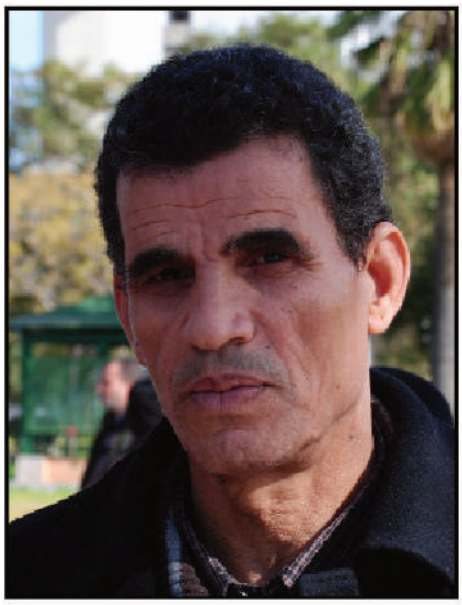
■ الشاعر التونسي محمد الصغير أولاد أحمد

لقد تعددت محن الشاعر مع هؤلاء الذين لا يسميهم سوى أنه تحدث عنهم بضمير الغائب (هم)، وهذا كثير في الدعاء على الأشرار. وفي حديثه عنهم بلغة الغائب فيه ما فيه من مشاعر الكره والحقد إلى درجة أنه غير قادر على أن ينطق باسمهم، ولما في ذلك أيضاً من مشاعر الاحتقار.

وقد بنيت أغلب مقاطع القصيدة على نسق واحد تقريباً؛ تبدأ بالنداء المضاف لياء المتكلم، ثم تبدأ ثنائية أنا وهم، ثم موضوع الشكوى الذي تعدد بتعدد المقاطع الشعرية، فبدأ أولاً باستعارة قصة النبي صالح- عليه السلام- ومشهد مأساة الناقة التي عقرها قومه، وليس هذا وحسب، بل إنهم أباحوا دم الشاعر في المساجد، تلك البيوت التي يجب أن تكون آمنة ولا يراق فيها الدم، وفي هذا أيضاً اتكاء على النص القرآني، فيحيل السطر الأخير من المقطع إلى قوله تعالى: «في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسم الله كثيراً». إذاً لم تعد المساجد مخصصة لذكر الله وإنما لإراقة دم الشاعر، فقد سلبوا منها الأمان، فأين مساجد هؤلاء من المساجد في زمن كان فيه الشخص آمناً إذا «دَخَل المسجد»؟

ويتابع في المقطع الثاني، ويبين بطريقة ساخرة بعض أعمال هؤلاء المعنيين، إنهم أهله، الذين يمارسون الغش، ويبيعون الخمر الرديء للسكارى مما أفسد متعتهم، إنها سخرية لاذعة ومرة، ومفارقة بارعة في إظهار السكارى بريئين، وأهله جناة، إنها نوع من التجارة الفاسدة الخالية من الأخلاق. ويعمق هذه السخرية بناؤها على المفارقة؛ فكيف يدافع عن السكارى في دعاء، وهو يعلم أن الخمر محرّم؟ إذا أخذ الدارس في عين الاعتبار بعض مصاحبات القصيدة التي سأوردها لاحقاً. هذه السخرية هي ذاتها التي تبيّن أن «هؤلاء» متلاعبون وغير شرعيين، إنما هو الادعاء الكاذب فقط، فقد تاجروا في الخمر وغشّوا فيه، فماذا بقي إذاً؟

ويبلغ بالشاعر الحنق والغضب عندما يعترض صارخاً، أن هؤلاء لم يتاجروا فقط بالخمر الرديء وإفساد ليل السكارى البريء، بل إنهم تجار دين، يبيعون صكوك غفران، ويوزعونها على من معه المال، وهو– وغيره كثيرون– فقير من أين سيشترى تذكرة. فيرفض الشاعر هذا المنطق، ولا يريد أن يكون هناك وساطة بينه وبين الله، فالله قد وعد بالمغفرة، فلا حاجة لمثل هذه التذاكر، فيدعو الله سبحانه قائلاً: «فمزق تذاكرهم يا إلهي».

لم يقف احتجاج الشاعر عند منطقهم في التلاعب بالدين، بل أيضا تلاعبوا في السياسة وفي الاقتصاد، فخربوا الحياة كلها، وإن دعا نوح على قومه، فطلب من الله ألا يذر على الأرض من الكافرين ديّاراً، فقد طلب الشاعر من الله أن يمحوهم وحقولهم وألا يبقى منها شيئاً.

ويرى الشاعر أيضاً أن صورة الإله لديهم التي يروجون لها صورة مخيفة، ليس هو الله الرحمن الرحيم الودود، إنما رسموا للإله صورة منفرة، مع أن الشاعر يحاججهم بالكتاب وآيات الكتاب، ما يؤهله أن يكون نبياً كما ختم الشاعر قصيدته. وفي هذا إشارة إلى خطابهم في التكفير القائم على الوعيد بالعذاب المقيم في جهنم.

يظهر من القصيدة أن الشاعر في صراع فكري وسياسي مع هؤلاء، وعلى الأغلب، فإنهم أتباع الإسلام السياسي الذين ناصبوه العداء وناصبهم وكفّروه، كما أشرت أعلاه، فالشاعر لا يردّ عن نفسه التهمة، فهو لم يخطئ، وإنما يبين مواقفهم المعوجة في الفكر والسياسة والاقتصاد وفي المنطق والتعامل مع الناس.

ومع أن القصيدة قائمة على ثنائية الأنا وهم، إلا أن الأنا فيها هي الأنا المستبصرة الرائية المنطقية المؤمنة، وليس الأنا النرجسية المتعجرفة المتمردة، إنها تلتقي مع قول الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام «ربي إني مغلوب فانتصر»، أي أنه لم يعد قادراً على فعل شيء، وبهذا يتجلى تقمص الشاعر لشخصية النبيّ المعذب المضطهد من قومه الأشرار، فأين يذهب إن لم يذهب إلى الله يناجيه ما بين الدعاء والطلب والتضرع والشكوى والدعوة على القوم بالهلاك، ويؤكد هذا عندما قدّم بين يدي القصيدة في أحد الأمسيات الشعرية، وكانت في شهر رمضان الذي وصفه بالمبارك، قائلاً: «يقال إنّ الدعاء في رمضان يكون مستجاباً، إذاً أدعو معكم ولكم».

تبدو كل مقاطع القصيدة متسقة مع بعضها البعض إلا هذا المقطع الذي يتحدث فيه بضمير الغائب المؤنث. لم أستطع أن أتبين علاقته مع النص، فليس هناك إشارات قاطعة تحسم دلالة الضمير؛ فمن هي المقصودة في هذا المقطع؟

إلهي:
أدُلكَ فوراً عليْها
على شفتيْها
على حلْمتيها
على اسمهَا العائلي
على شَعرِها العسلي
على ما تقولُ ولا تفعلُ

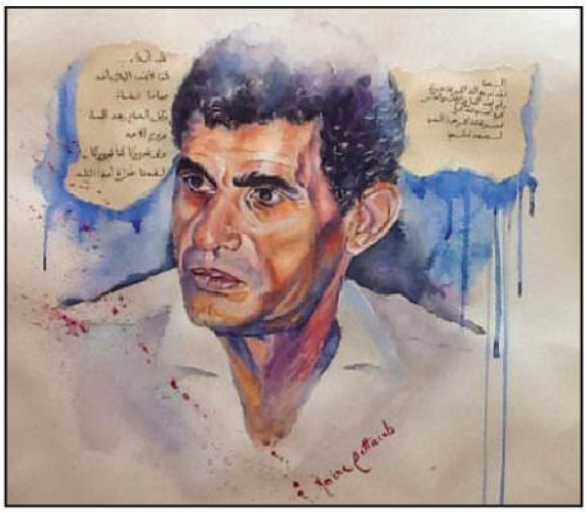

إلهَ السماءْ:
أضِفها إلى سُورة الشعراءْ

فهل كان يقصد تونس أم امرأته؟ وأراد أن يدافع عن امرأته وقد تمثل قصة نوح عليه السلام. هل كان يشبّه نفسه بنوح؟

عند التمعن في القصيدة، فإن قصة نوح– على الأغلب– هي منطلق الشاعر في القصيدة. على الرغم من أنه استعار من حياة النبي صالح قصة الناقة، وهناك بعض من ملامح قصة سيدنا يوسف، ومن قصة سليمان عليهم السلام، إلا أن كل القصص جميعها انطلقت من خلفية مشهدية أكبر، وهي قصة النبي نوح عليه السلام. وبما أن امرأة نوح قد خانت زوجها ولم تكن معه واستحقت العذاب، فجاء بهذا المقطع مدافعاً عن امرأته حتى لا يستعير قصة نوح بحذافيرها، فيكون هو مؤمناً ونبياً وامراته استحقت العذاب، وفي هذا– إن قصده الشاعر فعلاً– تكون لفتة مهمة في تبرئة زوجته أيضاً، وأنها على دينه وتتخذ الموقف ذاته، وتناصره، وليس كامرأة نوح، ولذلك فقد طالب «إله السماء» أن يضيفها إلى «سورة الشعراء»، وهذا إمعان في تقديس زوجته وإبعاد للشبهة عنها. بل ربما يلحقها بأمهات المؤمنين، زوجات النبي محمد صلى الله عليه وسلم اللواتي كن مع النبي ومع دعوته، ولم يقفن ضده، فذكرن في القرآن الكريم وآياته في موضوع التكريم والتبجيل.

ربما كان هذا فهما محتملاً، وربما كان ضرباً من الغيب، وتمحلاً، لا يقصده الشاعر إطلاقاً؛ ففي النسخة الصوتية المسجلة بصوت الشاعر والموجودة في موقع «القصيدة.كُمْ» لا يوجد هذا المقطع. فلعل الشاعر أدرك أن هذا المقطع لا يتناسب مع النص، فحذفه من أمسياته الشعرية التي ألقى فيها القصيدة وبقي في النسخة المطبوعة والمنشورة في المواقع الإلكترونية.

على أي حال يبقى المقطع قلقاً في القصيدة، أما القصيدة من غير هذا المقطع فهي نص شعري لافت، وفيه من جماليات الشعر والحالة الشعرية ما يفتح المجال لدراسة أدعية الأولياء والصالحين والنبيين على أسس شعرية وجمالية تصنع بلاغتها الخاصة بطريقتها وبأسلوبها المميز، فالأدعية مجال لصناعة اللغة، والحالة الوجدانية المصاحبة للدعاء في العرض والتضرع، تشبه إلى حد الحالة الشعرية المصاحبة للقصيدة وإيحاءاتها، فكلاهما– النص الشعري والدعاء– يحتاجان إلى الإلهام، إذاً، فإن لهذه الأدعية منطقها التي تستند عليه في صناعة شعريتها المختلفة عن بقية النصوص، وكما قال عمر بن الخطاب: «أنا لا أحمل هَم الإجابة ولكن أحمل هَم الدُعاء، فإذا أُلهِمت الدعاء فإن الإجابة معه»، وهو مأخوذ من جملة وردت في حديث نبوي شريف تقول: «من ألهم الدعاء لم يحرم الإجابة». فهل حرُم الشاعر محمد الصغير أولا أحمد الإجابة؟

أظن أن من يتابع المشهد التونسي السياسي والمصير التي تواجهه حركة النهضة ورموزها يعرف الإجابة. فربما أتت الإجابة في زمن آخر غير زمن الدعاء، فالله ليس موظفاً عند الشاعر وغيره، ليستجيب له مباشرة، إنما كما جاء في الأثر: «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تُحمل على الغمام؛ يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين». فهل كان هذا هو ذلك الحين؟

قصيدة «إلهي»

إلهي:
أَعنّي عليهمْ
لقد عقروا ناقتي
وأباحوا دمي في بيوتٍ أذِنْتَ بأن لا يُراقُ دمٌ فوق
سُجَّادِها!
إلهي:
أعوذُ بك الآن من شرّ أهلي
يبيعون خمْراً رديئاً
ويُؤذونَ ليلَ السَّكارى البريءْ
إلهي:
لقد تمَّ بيعُ التذاكِرِ للآخرةْ
ولم أجد المال، والوقتَ، والعُذرَ
كي أقتني تذكرهْ
فمزق تذاكرهمْ يا إلهي
ليسعدَ قلبي
ألم تعد الناس بالمغفرهْ
إلهي:
أريدُ جراداً لكلّ الحقولِ
ومحو جميع النقاطِ
وقحطا لكلّ الفصول
وطيرًا أبابيل للاحتياط!
صدَقتَ إلهيَ:
إنّ الملوكَ –كما الرُّؤساء –
إذا دخلوا قرية أفسدوها
فخرِّبْ قُصور الملوكِ
ليَصلُحَ أمرُ القرى
إلهي:
لينبُتَ دودٌ مكانَ البلَحْ
ذهبنا جميعاً إلى الانتخابِ
ولم ينتخبْ أحدٌ مَنْ نَجَحْ
إلهي،
حبيبي
ويا سنَدي
نشرتُ كتاباً جديداً
فبعْهُ بلا عددِ
إلهي:
أدُلكَ فوراً عليْها
على شفتيْها
على حلْمتيها
على اسمِهَا العائلي
على شَعرِها العسلي
على ما تقولُ ولا تفعلُ
إلهَ السماءْ:
أضِفها إلى سُورة الشعراءْ!
***
إلهي:
إلهي السّجينَ لدى الأنبياءْ
إلهي السّجينَ لدى الخُلفاءْ
إلهي السّجينَ لدى الأمراءْ
إلهي السّجينَ لدى الرؤساءْ
إلهي السّجينَ لدى الوزراءْ
لماذا نزلتَ إلى أرضِهِمْ
وأسْكنتني غيْمةً في السّماءْ؟
***
إلهي:
سَمِعْتُ ثُقاةً يقولونَ عنكَ كلاما مُخيفاً
فحاذفتهمْ بالكتابِ استوى حيّةً لدغتهمْ جميعاً
وعادت كتاباً
إلهي العليْ:
ألا يُمكنُ القولُ إنّي نَبيْ؟

Şermola
Êzîdî û Êzîdiyatî
شرمولا
الإيزيدية و الإيزيديين
الإيزيدية والإيزيديون.. تحديات الواقع والمستقبل
مفاتيح لفهم أوسع حول الديانة الإيزيدية
دور التطرف الديني في الإبادة البشرية.. الإيزيديين نموذجا
حوار العدد مع «الياس سيدو» الرئيس المشترك لهيئة الثقافة بالجزيرة والإداري في البيت الإيزيدي

شعريّة الدعاء في قصيدة «إلهي» للشاعر التونسي محمد الصغير أولاد أحمد

فراس حج محمد*

«يا إلهي» من أهمّ قصائد الشاعر، وفيها يعبر عن مواقفه السياسية بشكل واضح، وتمثّل نموذجاً للشعر السياسي المرتبط بالصراع الحزبي السياسي بين الفرقاء المختلفين سياسياً وحزبياً..

ولد الشاعر التونسي محمد الصغير أولاد أحمد في ١٩٥٥/٤/٤، وتوفي في ٢٠١٦/٤/٥ رحمه الله. وفي ذكرى ولادته الخامسة والستين في ٢٠٢٠/٤/٤ بثت قناة الغد الفضائية حلقة عن الشاعر في برنامج «حبر على الرصيف»، وكان من بين المتحدثين زوجة الشاعر السيدة زهور بن عزيزة، وممّا قالته عنه: «كان يظل

*شاعر وناقد من فلسطين، من مواليد مدينة نابلس ١٩٧٣، حاصل على درجة الماجستير في الأدب الفلسطيني الحديث من جامعة النجاح الوطنية. عمل معلماً ومشرفاً تربوياً ومحاضراً في جامعة القدس المفتوحة، ومحرراً لغوياً في دوريات صادرة عن وزارة التربية والتعليم في فلسطين. ينشر في الدوريات الفلسطينية والعربية، وله أكثر من عشرون مؤلفاً في الشعر والنقد الأدبي والمقالة بينها: ديوان رسائل إلى شهرزاد/ ٢٠١٣، ملامح من السرد المعاصر– قراءات في القصة القصيرة جداً، شهرزاد ما زالت تروي– مقالات في المرأة والإبداع النسائي/ ٢٠١٧، ملامح من السرد المعاصر– قراءات في متنوع السرد/٢٠١٨، بلاغة الصنعة الشعرية/ ٢٠٢٠..الخ.